علم البديع وبلاغته في ضوء القرآن الكريم
دراسة بلاغيّة تحليلية

نصر الدين إبراهيم أحمد حسين*

ملخص البحث:

علم البديع فن من فنون البلاغة العربيّة ورد في القرآن الكريم كثيراً، في سوره وآياته، وخاصةً السور القصار من جزء عمّ وجزء تبارك. وإن كان لدى البلاغيين القدامى خلاف في تسميته أو وجوده. ولكن فنون البلاغة ليست شيئاً غريباً عن لغتهم، فالعرب أصحاب بيان، وفصاحة فاقت طوق الشعوب التي تماثلهم آنذاك، فلا غرو أنهم يعرفون هذا الفن. ومشكلة البحث تكمن في عدم فهم دلالات هذا الفن، أي ما وراء المعاني أو إن شئت فقل المعاني الثانية، فقد صعب استباطها لكثير من طلبة العلم، ولذا سوف نستخدم –هنا– المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي. يهدف البحث إلى بيان أهمية علم البديع في القرآن الكريم، وكيفية تناول فنونه، وتحليلها تحليلاً منهجيّاً للكشف عن دلالاتها البلاغية، ومعانيها البيانيّة. خلصت الدراسة إلى ما يأتي: أن الدلالات البلاغية في القرآن الكريم كثيرة جداً، ولا يمكن فهم هذه الدلالات إلا بإتقان فنون البلاغة العربية وخاصة فن البديع، وأن هذه الدلالات البديعية هي التي تكشف مفهوم الخطاب القرآني، وأن تحليل الدلالات يفيد أؤلئك الذين تخصصوا في البلاغة القرآنيّة، وتفسير القرآن الكريم؛ فهي تساعد طالب العلم والتخصص على فهم أساليب القرآن الكريم المختلفة.

الكلمات المفتاحية: علم– البديع– البلاغة– القرآن– التحليل.

Abstract:

Al-Badi' is a branch of an Arabic Rhetoric and there are many occurrences of al Badi' in the verses of the Holy Quran especially in the chapters: *'Amma* and *al-Mulk* despite of classical rhetoricians disputes over its name and existence. Rhetoric is not new in the Arabic Language. The Arabs are eloquent and this attribute placed them far beyond those of their

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

era. There is no doubt that they are well versed in this subject. The research question focuses on the misunderstanding of al Badi's meaning i.e. what lies beyond meaning or the underlying meaning that students find it hard to understand. This research is based on analytical and inductive methodologies. It aims to explain the importance of al Badi' in the Holy Quran and the ways it is being discussed for the purpose of unveiling its rhetorical meanings. The research concludes that: the use of rhetoric in the Holy Quran stands out; this shows that the only way to fully understand the Holy Quran is by mastering Rhetoric, specifically al Badi'. It is by understanding the later that the Quran is understood. The experts of Rhetoric and Exegesis of al Quran and the students alike would benefit from the analysis of rhetorical meanings in understanding different styles of the Holy Quran.

Keywords: Knowledge- *Al-Badi'*- *Al-Balaghah*- Holy Quran- Analysis.

Abstrak:
Terdapat banyak ciri ilmu *Badi'* yang merupakan salah satu cabang ilmu Balaghah di dalam al-Quran, khususnya surah-surah pendek daripada *Juz 'Amma* dan *Tabarak*, walaupun terdapat banyak perselisihan pendapat tentang jenisnya di kalangan ulama balaghah. Balaghah tidak asing dalam bahasa Arab kerana bangsa Arab memiliki kefasihan mengatasi bangsa lain. Permasalahan kajian terletak pada kurangnya pemahaman tentang makna tersirat dan pelajar menghadapi kesukaran dalam merangkanya. Justeru itu, kajian ini menggunakan pendekatan induktif dan analisa supaya kepentingan ilmu *Badi'* dalam al-Quran dapat dinyatakan, pendekatan terbaik dalam menganalisa makna-makna tersirat dapat diketahui. Kesimpulan kajian ialah untuk memahami makna-makna tersirat yang terdapat dalam al-Quran dengan banyak sekali, seseorang itu hendaklah memahami ilmu Balaghah dengan terperinci khususnya ilmu *Badī'*. Indikasi-idikasi dalam *Badī'* memainkan peranan dalam mendalami konsep-konsep dalam wacana al-Quran dan analisa semantik memberikan manfaat kepada mereka yang mengkhusus dalam retorik serta pentafsiran al-Quran di mana ia membantu mereka memahami pelbagai gaya bahasa al-Quran.

Kata kunci: Ilmu- *Badi'*– Balaghah- Al-Quran- Analisa.

مقدمة:

ليست قضيتنا هنا أن نتتبع تعريف مصطلح البديع، أو تاريخ نشأته، أو خلاف العلماء في قبوله أو رفضه أو الجدل الذي دار حوله بالنسبة إلى لقرآن الكريم، وإنما قضيتنا هنا الكشف عن جمال هذا الفن في القرآن الكريم، ودلالاته البلاغيّة. وبطبيعة الحال، فإن هذا الفن ورد في القرآن الكريم، ولكن وروده لم يكن عن صنعة وتكلّف، وإنما جاء عفو الخاطر مع ملاحظة أن القرآن الكريم، أُنزل بلسان عربيّ مبين، وأن هذا الفن جاء في أشعار العرب. وحسبنا هنا أن نعرض بعض فنون البديع في القرآن الكريم، ونقوم

بتحليلها وشرحها، والوقوف وراء الدلالات البلاغية فيها؛ لاستنباط المعاني الخفية، أو المعاني الثانية التي تكمن وراء الأسلوب البديعي في القرآن الكريم. وكذلك إبراز الأفكار التي تحيط بالخطاب البلاغي فيما يختص بعلم البديع.

أولاً–الجناس

ورد فن الجناس في القرآن الكريم في سور مختلفة، ومثال ذلك قوله تعالى من سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾،[1] حيث جاء الأسلوب في غاية من الدقة والفصاحة، ومراعاة مقتضى الحال. فاليتيم يختلف عن الفقير، فاليتيم المقصود في هذه الآية هو الذي فقد والديه منذ الصغر، ولم يبلغ سن الرشد بعد، ولذا فلا بدّ من صوْن ثروته حتى يبلغ سن الرشد، وحتى لا تذهب ثروته أدراج الرياح. أمّا السائل فهو المحتاج الذي يسأل الناس مالاً أو غيره، من أجل مساعدته، لأنه حقاً يحتاج إلى مساعدة الآخرين. ولا يمكن أن نعكس الحال، فنجعل "تنهر" لليتيم، و"تقهر" للسائل، والسبب في ذلك أن هذه أموال اليتيم وهي حقّ له، فأخذها منه يُعتبر قهرًا واستعبادًا؛ أمّا السائل فهذا ليس ماله بل مال الغير، وهو يلتمس منه أن يعطيه منه. وهذا الجناس هو جناس اللاحق، وهو (ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما غير متقاربين في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر، مثل: (تَقْهر، وتَنْهر)، فالقاف والنون غير متقاربين في النطق).[2]

ومثل هذا الفن البديعي كثير في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴾،[3] حيث نجد أن الساعة الأولى هي يوم القيامة، وهذا يظهر من السياق في الآية، لأن من أسماء يوم القيامة لفظ الساعة. وذكر الزمخشري أنها سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعة الدنيا، أو لأنها تقع بغتة.[4] أمّا لفظ (ساعة) بالتنكير فجاء ليدل على الزمن المحدود، ولذا عُرّف لفظ (الساعة) الأول لأنه معرفة لدى البشر ولا ينكره مسلم أيًا كان، بينما لفظ (ساعة) بالتنكير، يدل على أي ساعة زمن، وأسلوب الجناس يشير إلى دهشة المشركين نحو الزمن الذي ذهب كلمح البصر، والذي أضاعوه في اللعب والعبث ومتاع الحياة الدنيا حتى جاءتهم لحظات الحق، فانقلبوا خاسرين، فخسروا الدنيا والآخرة، وهذا الطباق يُسمى الطباق التام.

يرى الإمام عبد القاهر أن ما يعطيه التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار من والولوع به، فالألفاظ خدم للمعاني، والمعاني هي التي تملك زمام الألفاظ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته.[5] ومن أجل ذلك لا يضحي القرآن بالمعنى من

أجل اللفظ، أو بالمضمون من أجل الشكل، بل كلاهما يتكاملان عند الخطاب القرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾،[٦] حيث أشار الزمخشري إلى هذه الآية، إذ قال: (والنبأ: الخبر الذي له شأن.وقوله: (مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعًا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء ههنا زائدًا على الصحة فحسن وبدع لفظًا ومعنى. وقد أشار الجرجاني إلى أنه لو وضع مكان بنَبَإٍ بخبر، لكان بذلك المعنى صحيحاً، وهو كما جاء أصح، لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال،وهذا الجناس غير تام، ويسمى عنده المزدوج أو المكرر أو المردّد، وهو أن يلي أحد المتجانسين الآخر.[٧]

ويعد الجناس من الأساليب التي تمنح النص الأدبي نوعاً من الانسجام الموسيقي، والتوازن في العبارات، وهذا يساعد على التأثير في وجدان القارئ، ويجعله يشعر بشيء ما عندما يستمع لمثل هذه العبارات التي يتخللها هذا الفن، ولذا نجد هذا الفن قد برز خاصةً في السور القصار في القرآن الكريم، وإن كان يأتي في القرآن الكريم عفو الخاطر، دون تكلّف وتعقيد، لاحظ مثلا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾.[٨] إذ رصدت الآية المشركين والكفار الذين ألهو عن عبادة الحق عزّ وجلّ، وشغلوا بعبادة أصنامهم، وأوثانهم، ولهتهم هذه الحياة الدنيا، ومن معهم عن عبادة الواحد القهار، وسعوا في الحياة لعباً، فجاء الجناس غير التام في نوع الحروف؛ إذ تبدّلت الفاء في (تفرحون)، إلى ميم في (تمرحون)، ونلحظ التكامل في الشكل والمضمون، فلم يأت الشكل على حساب المضمون، بل جاء المعنى واضحاً معبّراً عمّا تقصده الآية. والمرح هو أعلى درجة من الفرح، ولذا كلمة (المرح)، لتأكيد وقت لهوهم، وانخراطهم في هذه الحياة الفانيّة، حتى أتاهم اليقين، وتفتحت أبواب النار لاستقبالهم، ولات ساعة عتاب.

أمّا الصنف الثاني من الناس، فقد جاء في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.[٩] فهم الذين أتوا ربهم بقلب سليم خالٍ من الذنوب والأفك والكذب والنفاق، وهم أهل النعيم الذين نضرت وجوههم، وزادها نضارة النظر إلى وجه ربّها، وهي لا تميل عنه يميناً أو شمالاً، ويذهب الزمخشري إلى أن التقديم يدلّ على الاختصاص، ثم يقول: (ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم، لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء).[١٠] ونرى هنا الجناس غير التام بين (ناضرة، وناظرة) في نوع الحروف، حيث تبدّلت الضاد إلى ظاء، ولكن هذا الأمر جاء بمنتهى المهارة والدقّة، فقد ربط بين نضارة الوجه التي

تهدف إلى النعيم والطمأنينة، والسكون والهدوء، وراحة البال، وصفاء النفس، بالنظر إلى الله عزّ وجلّ، لأن الوجوه عندما تنظر إلى خالقها وبارئها، تزداد نضارة ونعيم. نسأل الله — عزّ وجلّ — ألّا يصرف عنّا وجهه.

وهناك مثال آخر من هذا الفن البلاغي، نلمس دلالاته البلاغيّة في قول الله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾،[١١] إذ تعني همز: (اغتاب، وغض منه. ولمز: طعن، وقدح، وعاب).[١٢] وتجد هناك تجانساً في اللفظ والمعنى. ففي اللفظ اتحاد للفظتين؛ (همز، ولمز)، وما فيهما من انسجام موسيقي، ونبرات صوتية معبّرة؛ وفيها تناسب وتقابل في المعنى، فالهمز يؤدي دائما إلى اللمز، وكل منهما مرتبط بالآخر، فالمعاني متقاربة يؤدي فيها الأول إلى الآخر.

ونجد نوعاً آخر من الجناس ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾.[١٣] ويرى الخطيب القزويني بأنه إذا اختلفا اللفظان في أعداد الحروف سُمّي الجناس ناقصاً مثل قوله تعالى في: (الساق، المساق)،[١٤] وهذا يُسمى المردوف: وهو ما كان الحرف الأول فيه هو الناقص في أحدهما، فلفظة (المساق)، زيدت حروفها بزيادة الميم، فأصبحت أربعة. كما لا يفوتنا الجانب الموسيقي في ظاهر الألفاظ، وتكرار حرف السين والقاف بين الكلمتين، وحرف السين من الحروف الخفيفة في النطق، ولهذا لما كانت الساق هي آلة السير، اختير لها كلمة المساق لتناسبها في المضمون والشكل. وحركة الالتفاف دلالة على شدّة الخوف، والهول والهلع التي يكون فيها الإنسان في تلك اللحظات.

ذكر الطبري أن المعنى هو التفاف ساق الدّنيا بساق الآخرة؛ وذلك لشدّة كرب الموت، بشدّة هول المطلع. والعرب تقول: (لكل أمر اشتدّ: قد شمّر عن ساقه، وعني — عزّ وجلّ — بقوله هذا: التصقت إحدى الشدّتين بالأخرى، والمساق، يعني مساقه).[١٥]

ثانياً—مراعاة النظير

ومراعاة النظير هو الائتلاف والتلفيق والتناسب والتوفيق والمؤآخاة، ولكن معظم البلاغيين يسمونه مراعاة النظير.[١٦] وأشار إليها الفخر الرازي، ووضعها في أقسام النظم، وعرّفها بقوله: (مراعاة النظير، وهو عبارة عن جمع الأمور المتناسبة).[١٧] وقد أدخله السّكاكي والقزويني، وشرّاح التلخيص في المحسنات المعنوية.[١٨]

ومراعاة النظير تسمى: التناسب، والتوافق، والائتلاف، وهي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، وذلك إمّا بين اثنين نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.[١٩] وإمّا بين أكثر نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾،[٢٠] ونحو قوله تعالى:

﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾،[٢١] والنجم هنا: هو النبات الذي ينجم أي يظهر من الأرض لا ساق له كالبقول، والشجر الذي هو الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان له ساق. فالنجم بهذا المعنى، وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر، لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما، وفي هذه الحالة يكون المثال من (إيهام التناسب)، وبالمعنى الأول يكون التناسب بين الشمس والقمر، وبين النجم والشجر. ويلحق بمراعاة النظير ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام، يعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾.[٢٢] فإن (اللطيف) يناسب عدم إدراك الأبصار له، و"الخبير" يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.[٢٣]

أكّد الخطيب القزويني في كتابه **الإيضاح في علوم البلاغة**، مراعاة النظير، وهي مراعاة مقتضى الحال، والبلاغة في علمنا هي مراعاة الحال وقد ذكر في ذلك أنواعاً كثيرة لمراعاة النظير؛ وعلى سبيل المثال منها: التناسب، والائتلاف، والتوفيق، ومنها تشابه الأطراف، وإيهام التناسب، والتفويف، والإرصاد أي التسهيم، والمشاكلة، أي إيهام الاستطراد، والمزاوجة، والعكس والتبديل، والتورية أي الإيهام، والاستخدام، والتفريف، والتقسيم، والتجريد، والمبالغة، والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والتفريع، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والاستتباع، والإدماج، والتوجيه، والهزل، والتحقير، والقول بالموجب، والجناس، والسجع، والموازنة.[٢٤] ووقفنا عند ذكر كل فنون مراعاة النظير، لأن مراعاة النظير هي قلب البلاغة، والذي يهمنا هنا أن نبرز بعض الفنون البلاغيّة التي تميّز بها هذا الفن، وهذا يساعدنا على الكشف عن الدلالات البلاغيّة في القرآن الكريم، وما تحمله من تصوير رائع جعل القرآن الكريم فوق طوق البشر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾.[٢٥] وهذا ما يسمى بتشابه الأطراف، وهو: (أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، فإن اللطف يناسب مالا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً، فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به).[٢٦] وذكر الزمخشري: (أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه؛ لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعاً، كالأجسام والهيآت. وهو يدرك الأبصار: وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك. وهو اللطيف: يلطف عن أن تدركه الأبصار. والخبير: بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه، وهذا من باب اللطف).[٢٧] في قوله أيضاً: وهو يدرك الأبصار، نهاية متوقعة تتلاءم وتتناسب مع بداية الآية، فإذا كانت لا تدركه الأبصار، يكون من المتوقع في العبارة وهو يدرك الأبصار.

ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.[٢٨] حيث إن قوله: إن تغفر لهم، يوهم أن الفاصلة تكون العزيز الحكيم، ولكن إذا أنعم النظر، علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز، لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم: عزّه يعزّه عزّاً إذا غلبه، ومنه المثل من عزّ بزّ، أي من غلب سلب، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً، لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته.[٢٩] والمغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال: وإن تغفر لهم؟ لأنه ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة، لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن.[٣٠]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾.[٣١] وهذا النوع من مراعاة النظير يسمى بالتناسب أو يلحق به، ويسمى أيضاً بإيهام التناسب، والنجم: النبات الذي ينجم من الأرض، لا ساق له كالبقول، والشجر: يعني الشجر الذي له ساق، وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له، فالنجم بهذا المعنى، وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما، ولهذا سمي إيهام التناسب، ظنّاً منه أن النجم كوكب، وليس نوعاً من النبات، ولكن عندما جاء بالشجر هنا جاء التفكر والتأمل، وهو تساؤل: ما علاقة الشجر بالنجم؟ وهما جنسان مختلفان تماماً: إذاً هذه هي القرينة والدليل بأن يكون النجم نوعاً يتقارب في الجنس مع الشجر، وهكذا كشفت بلاغة القرآن الكريم، والدلالات هذه كشفت عن تلك المعاني الخفيّة التي جاءت مختفية وراء الآيات القرآنيّة.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.[٣٢] وهذا النوع من مراعاة النظير يسمى الإرصاد، ويسمى أيضاً التسهيم، وهو أن يجعل صدر العبارة أو الفقرة ما يدل على العجز. فإذا لم يظلمهم الله –سبحانه وتعالى– ولم تظلمهم الأنبياء بتبلغيهم الرسالة، إذاً هم الذين ظلموا أنفسهم بعدم اتباعهم للحق الذي جاء من عند الله عزّ وجلّ، وبلّغته الأنبياء لهم، ولكنهم لم يؤمنوا به. فكان حتماً أن تختتم الآية بهذا المفهوم. ويقول الزمخشري: (فما صحّ منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح، وأن يعاقبهم بغير جرم، ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه).[٣٣]

فالفكرة والذوق يعينان صاحبهما على بلوغ هذه المنزلة،أخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت، قال: أملى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾.[٣٤] فقال معاذ بن جبل: (فتبارك الله أحسن الخالقين). فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ: (مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: "بها ختمت".[٣٥] وهذا أيضاً ما يسمى برعاية الفاصلة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴾.[٣٦] وهذا يدخل في باب ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهي (أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضاً، ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها غير لائقة بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى مولداً كانت الألفاظ مولدة، وإذا كان المعنى متوسطاً، كانت الألفاظ كذلك، وإذا كان غريباً كانت الألفاظ غريبة، وإذا كان متداولاً كانت الألفاظ معروفة مستعملة، وإذا كان متوسطاً بين الغرابة والاستعمال كانت ألفاظه كذلك).[٣٧] وهنا جاءت الآية بأغرب ألفاظ القسم بنسبة المألوف إلى أخواتها، فإن التاء أقل استعمالاً، وأبعد من أفهام العامة، والباء والواو أعرف عند الكافة، وهما أكثر دوراناً على الألسنة، واستعمالاً في الكلام، أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء، وتنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها، فإن (كان) وما قاربها أعرف عند الكافة من (تفتأ)، وهم لـ: (كان) وما قاربها أكثر استعمالاً منها، وكذلك لفظ (حرضاً) أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك. فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة، بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخياً لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم. ألا ترى أنه عزّ وجلّ قال في غير هذا المكان: (واقسموا بالله جهد أيمانهم)، لما كانت جميع ألفاظ هذا الكلام المجاورة لهذا القسم كلها مستعملة متداولة لم تأتِ فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يشاكلها في الغرابة ويلائمها.

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.[٣٨] فلما كان الركون إلى الظالم دون فعل الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم، ومسّ النار في الحقيقة دون الإحراق، ولما كان الإحراق عقاباً للظالم أوجب العدل أن يكون المسّ عقاب الراكن إلى الظالم، فلهذا عدل عزّ وجلّ عن قوله: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتدخلوا النار)، لكون الدخول منظمة الإحراق، وخص المسّ ليشير به إلى ما يقتضي الركون من العقاب، ويميز بين ما يستحق الظالم، وبين ما يستحق الراكن إليه من العقاب، وإن كان مسّ النار

قد يطلق ويراد به الإحراق، ولكن هذا الإطلاق مجاز، والحقيقة ما ذكرناه، لأن حقيقة المسّ أول ملاقاة الجسم حرارة النار، وإذا احتمل اللفظ احتمالات صرف منها إلى ما تدل عليه القرائن، والائتلاف في هذه الآية معنوي، وهو في التي قبلها لفظي.[٣٩] ومن هنا نجد أهميّة هذه الفنون البلاغيّة في كشف الدلالات التي تختفي المعاني من ورائها، فبلاغة القرآن تلبس الألفاظ والمعاني زيّاً زاهياً جميلاً تجعله متفوقاً على كلام البشر، يكسب اللغة العربيّة شأواً عظيماً، ومكانة مرموقة بين لغات العالم.

ثالثاً–السجع

ذكر الخطيب القزويني في "الإيضاح" أن السجع هو: (تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر، وهو ثلاثة أضرب؛ مطرف ومتوازٍ، وترصيع، لأن الفاصلتين إن اختلفا في الوزن فهو السجع المطرف كقوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾،[٤٠] وإلا فإن كان مافي إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع، وإلا فهو السجع المتوازي، كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾،[٤١] وأحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾،[٤٢] ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾،[٤٣] أو الثالثة كقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾.[٤٤] وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.[٤٥] ومهما اختلف البلاغيون في مسألة السجع في القرآن، وفي تسمياته؛ كالفاصلة، والتوازن، والتماثل، إلا أن الحقيقة تثبت الواقع، فالسجع موجود في القرآن الكريم، ولكنه يأتي عفو الخاطر.

ذكر زكي مبارك أن السجع عندما يخاطب الوجدان والقلب في القرآن فإنه يسلك طريقة العرب في العصر الجاهلي حيث يقول: (ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الثناء والخوف والرجاء سورًا مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين، ولا ننسى أن الوثنية كانت دينًا يؤمن به أهله في طاعة الخشوع، وكانت لهم طقوس في هياكلهم وكانت تلك الطقوس تُؤدى على نحو قريب مما كان يفعله أهل الكتاب من النصارى واليهود، والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب في صيغتها الفنيّة مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات، الفرق بين الملتين يرجع إلى المعاني، ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال، ولو دخلت كنيسة في باريس، ورأيت كيف تتلى الدعوات بعد الصلاة، لتذكرت الصورة في مساجد القاهرة، ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية. فاللون الديني واحد، وصورة الأداء تكاد

تكون واحدة، فلا تحسب أن القرآن غيّر مناهج الناس في يوم وليلة، وتذكر أنه لم يشأ إلا أن يصلح من عقائد من دعاهم إلى الله، وأن يروضهم على فكرة واحدة هي التوحيد. ومعنى هذا أن القرآن يسجع؛ لأن السجع كان فنًا من فنون القول والدعاء عند الجاهلية، والصلوات بطبيعتها تحتاج إلى لون من الفن يتمثل في السجع؛ لأن فيه استجابة للموسيقى الوجدانية في قلوب المتبتلين).[٤٦]

إذن السجع أو الفاصلة أو التوازن كان شيئًا كائنًا في الديانات السماوية التي هبطت في الجزيرة العربية، ولذا استقبلها العرب بارتياح وطمأنينة، حيث اخترقت حاجز الحس والوجدان لديهم، فتعاملوا معها كما يتعاملون مع شيء مألوف لديهم، ولكن بالطبع، طريقة السجع في القرآن الكريم وأدائه، يختلف عمّا عند هؤلاء، وذلك لاختلاف نوعيّة الخطاب الأسلوبي، والمعرفي للقرآن الكريم، فطريقة التوظيف تختلف، وهذا ما تميّز به القرآن الكريم عن غيره من ديانات سماوية.

وللأستاذ أحمد حسن الزيات رأي في ذلك إذ يرى (أن تقطيع المنثور من الكلام جملاً أو فقرًا أو فواصل عمل بلاغي تقضيه حالة النفس وحركة الذهن، وطبيعة التنفس، وهذا التقطيع وإن نشأ في اللغة على مقتضى الطبع فله فلسفة وهندسة وموسيقى، هن عناوين علم البلاغة وبراهين فن البليغ. فالهندسة والموسيقى، ملاكهما التلاؤم بين أجزاء الفقر وفواصلها، فإن كانت الفواصل متعادلة فهو التوازن، وإن كانت متماثلة فهو السجع. مثال الأول: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.[٤٧] ومثال الآخر: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾.[٤٨] فبيّن المستبين والمستقيم تعادل، وبين نعيم وجحيم تماثل. إذن الازدواج على إطلاقه، والسجع على تقييده يؤلفان الموسيقى في الأسلوب البليغ، منذ كان للعرب ذوق، وللعربية أدب، فليس الحال فيهما هي الحال في سائر الأنواع البديعية التي نشأت في الحضارة ونمت بالترف، وسمجت بالفضول وفسدت بالتكلف، فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات والمزاوجة بين الكلمات والمجانسة بين الفواصل إنما ينكرون جمال البلاغة في دهر العروبة كله).[٤٩]

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ
﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا
طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ
ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾.[٥٠]

ويذهب سيد قطب إلى أن (هذه فواصل متساوية في الوزن تقريباً –على نظام غير نظام الشعر العربي– متحدة في حرف التقفيّة تماماً، ذات إيقاع موسيقي متحد تبعاً لهذا وذلك، وتبعاً لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية؛ لأنه ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع، ولو اتحدت الفواصل والأوزان. والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعاً لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحد تبعاً لتوحد الأسلوب الموسيقي، مسترسل الرويّ كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي. وهذا كله ملحوظ. وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جليّاً مثل: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى). فلو أنك قلت: أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة، لاختلت القافية، ولتأثر الإيقاع. ولو قلت: أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الأخرى، فالوزن يختل. وكذلك في قوله: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى)؟ تلك –إذن– قسمة ضيزى)، فلو قلت: ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى، لاختل الإيقاع، المستقيم بكلمة (إذن). ولا يعني هذا أن كلمة (الأخرى) أو كلمة (الثالثة) أو كلمة (إذن) زائدة لمجرد القافية أو الوزن، فهي ضرورية في السياق لنكت معنوية خاصة. وتلك ميزة فنية أخرى: أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي تناسباً في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، أو يخضع النظم للضرورات. وملاحظة اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل تبدو واضحة في كل موضع على على نحو ما ذكرنا أو قريباً من هذه الدقة الكبرى. ودليل ذلك أن يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة، أو أن يبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه. أو عدلت في النظم أي تعديل).[٥١]

إذن السجع من آداب العرب وفنونها، وهو من مميزات البلاغة الفطرية، وكان مستخدمًا في بعض خطب الرسول ﷺ، وخطب الخلفاء، وأدباء العرب، ولكنه لم يكن مقصودًا لذاته، ولكنه يأتي عفو الخاطر، دون تكلف أو تصنّع، والقرآن أنزل بلسان عربي مبين، ومعنى هذا أن القرآن يسجع؛ لأن السجع كان فنّاً من فنون القول والدعاء عند الجاهلية.

ومن السجع قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.[٥٢]

وهنا نلحظ تكرار الفاصلة أو السجع، وتكرار السجع إنما يأتي في القرآن عفو الخاطر، دون التضحية بالمعنى؛ لأن اللفظ والمعنى، أي الشكل والمضمون يتكاملان، أي كلٌّ يكمل الآخر. ويعلل

الأستاذ علي الجندي تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)؛ بأن الله سبحانه عدّد في السورة نعماءه، وذَكَّرَ آلاءه، ونبّه عباده على قدرها، وقدرته عليها، ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة، ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها ثم فيها – إلى ذلك – معنى التقريع والتوبيخ، فإن تعديد الآلاء من الرحمن تبكيت لمن أنكرها، كما يبكت من ينكر أيادي الناس عليه، بتعديد النعم له).[٥٣]

وقد سلكت السورة أسلوب الإقناع والحجة في قسوة صارمة عند مواجهة الكافرين، وفي لين هادئ عند مواجهة المؤمنين، وهناك وقفات التبصّر المتأملة التي تقتضي دوام النظر، وطول التفكير في جوهر الوجود وخالقه العظيم، وفيما وراء الوجود مما لا تراه العين، وتضل فيه الأفهام، وتبقى مع ذلك شعارا تتنفس به البشرية حين تضل وتزيغ، وتستلهم به طريقها الصحيح، ومنزلتها الراقيّة حين تهدأ وتستقر، والأديان بما فيها من هداية واسترشاد مناط يتعلق به الوجود البشري إذ يحيق به الضياع، وتخنقه الشهوات السوداء، وتمسك بتلابيبه سطوة المادة، ويؤكد هذا المعنى أحد القدامى، إذ يقول: (عدّد الله عزّ وعلا آلاءه، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدمًا من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها، وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثراً، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها، وأَخَّرَ ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علماً بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدّمًا عليه وسابقاً له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير).[٥٤]

ومن الدقة في التقسيمات والتفصيلات لدى علمائنا القدامى تقسيمهم السجع إلى عدّة أقسام هداهم إليها واقع الأمثلة التي نظروا في شرحها وتحليلها، مع النظر في الاحتمالات العقلية التي تتعرض لها الجمل المسجوعة في اللسان العربي. فقسموا السجع إلى عدّة أقسام، ووضعوا أسماء اصطلاحيّة لها كما يأتي:

١-السجع المرصّع: وهو أن تكون الألفاظ المتقابلة في السجعتين متفقة في أوزانها، وفي أعجازها، أي في الحرف الأخير من كل متقابلين فيها، مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾.[٥٥] فالتقابل في كلمات الفقرتين، يُلاحظ فيه الاتفاق في الأوزان، وفي الحرف الأخير، أمّا كلمة (ثم) فهي بمثابة المشترك بين الفقرتين.

٢-السجع المتوازي: وهو أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السجعتين متفقتين في الوزن، وفي الحرف الأخير منهما، مع وجود اختلاف ما قبلهما في الأمرين، أو في أحدهما؛ مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فِيهَا

﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾.[٥٦] كلمتا: (مرفوعة) و (موضوعة) متفقان في الوزن والحرف الأخير، لكنّ ما قبلهما وهما: (سرر) و (أكواب) غير متفقتين فيهما.

٣-السجع المُطرّف: وهو أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السجعتين مختلفتين في الوزن، متفقتين في الحرف الأخير، وعندئذ لا ينظر إلى ما قبلهما في الاتفاق أو الاختلاف؛ مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.[٥٧] كلمتا: (وقاراً) و (أطواراً) مختلفتان في الوزن، متفقتان في الحرف الأخير.[٥٨]

ونلحظ أن هناك دلالات بلاغيّة تكمن وراء هذه النصوص القرآنيّة، ففي مثال السجع المرصّع؛ استخدام (إن)، و (ثم)، فالأولى جاءت للتأكيد، فالله لا يخلف وعده، وجاءت أضرب الخبر هنا لتؤكد لهؤلاء المترددين أمراً واقعاً لا محالة، وجاءت (ثم) هنا لتفيد التأني، أي أن الأمر سوف يحدث، ولو بعد حين، وكلمة (إلينا)، تفيد التوجه والحضور والمثول أمام الله سبحانه وتعالى، بينما كلمة (علينا)، تفيد الحكم والتنفيذ. أمّا في السجع المتوازي، فعندما جاء بالسرر، وضع ما يناسبها وهو العلو الذي يمكن المؤمن من رؤية ما يريد أن يراه، وعندما جاء بالأكواب، فالذي يناسبها أن تكون موضوعة لهم حيث شاؤوا، والطباق يعطي صورة جميلة بديعة. ونلحظ في السجع المطرّف أن السبب مرتبط بالمسبب، فالوقار والاحترام والتبجيل مرتبط بسبب جوهري وهو الخلق.

رابعاً–التورية

التورية لها أسماء كثيرة، ومنها: الإيهام والتوجيه والتخيل والمغالطة. والتورية تعني أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورّي عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع مع أول وهلة أنّه يريد القريب وليس كذلك، ولذلك سُمي هذا الفن إيهاماً.[٥٩] وتنقسم التورية إلى ثلاثة أقسام:

١. التورية المجردة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنى القريب، ولا بما يلائم المعنى البعيد.
٢. التورية المرشحة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، سواء أكان هذا المقارن قبل اللفظ المستعمل في التورية أو بعده.
٣. التورية المبيّنة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى البعيد المقصود باللفظ.[٦٠]

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.[٦١] فالاستواء معناه القريب الجلوس، ومعناه البعيد الاقتدار والاستيلاء، والمراد البعيد، وهي هنا تورية مجردة، فلم يذكر في الكلام ما يجامع المعنى القريب. والاستواء لا يعدى بـ: (إلى) إلا إذا كان المراد

به الاستيلاء والاقتدار، أمّا إذا كان المراد به الاستقرار فلا يعدى بـ: (إلى)، وهذا ما دلت عليه كتب اللغة، ففي كل تلك الآيات الكريمة أطلق الاستواء وأراد منه الاستيلاء والاقتدار والغلبة، وهو المعنى البعيد، وقد أغفل المعنى القريب، وهو الجلوس والاستقرار، حتى لا يشابه الله سبحانه وتعالى الحوادث، وهذا ما قصده به المتأخرون بالتورية المجرّدة، حيث يفهم من هذا التوجيه الكناية، فيقال: إن الاستواء كناية عن الاستيلاء والاقتدار.[٦٢]

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾.[٦٣] حيث نجد التورية في عبارة: (إنك لفي ضلالك القديم)، وهذه العبارة لها معنيان؛ المعنى الأول القريب الذي أرادوا الإيهام به، وهو: أنّه ما زال ضالاً مع أوهامه، طامعاً بعد نيف وثلاثين سنة من غياب يوسف في أن يعود إليه أو يلتقي به، وضالاً في شغل نفسه بالحزن عليه حتّى يكون حرضاً (أي: شديد المرض)، أو يكون من الهالكين. والمعنى الثاني البعيد الذي قصدوه: وهو أنّه ما زال ضالاً في إيثاره يوسف وشقيقه بنيامين على سائر بنيه، وهذا المعنى هو المعنى الذي كانوا ذكروه قبل أن يُلقُوا يوسُف في غيابة الجبّ، وقد أبانه الله بقوله في أوائل السورة: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾،[٦٤] والتورية في هذا المثال من نوع التورية المجردة.[٦٥]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾.[٦٦] وهذا إيهام التناسب، وألحقه القزويني بمراعاة النظير، وهو يخل في باب التورية، فكلمة (النجم) فيها تورية، لأنه لما ذكر لفظ الشمس والقمر ذكر النجم والمراد به النبات، فذكر النجم بعد ذكر الشمس، والقمر يوهم التناسب، لأن النجم أكثر ما يطلق على نجم السماء المناسب للشمس والقمر بكونه في السماء.[٦٧] فالمعنى الظاهر الواضح القريب لكلمة (النجم)، هو نجم السماء، والقرينة على فهم هذا المعنى هكذا، وهو الإشارة إلى (الشمس والقمر)، وهما كوكبان، والنجم كوكب، ولكنه عندما جاء بكلمة (الشجر)، بدأ النظر في العلاقة بينهما، حيث اتّضح أن النجم نوع من النبات يتخذ شكل النجم، وهذا هو المعنى البعيد الذي لا يلّم به إلا من أُتي حصافة وذكاء. وهكذا تتجلى الفنون البلاغيّة لكي تكشف عن هذه الدلالات البلاغية الكامنة وراء النص القرآني، لتؤكد أن أسلوب القرآن فاق طوق كل البشر في التعبير.

خامساً–الطباق

الطباق يعني في اللغة: الجمع بين معنيين متضادين، أو هو الجمع بين الشيء وضدّه، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد.[٦٨]

ومن ذلك، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾.[٦٩] وهذا هو طباق الإيجاب بين الشيء وضده، ويكون الجمع فيه بين الاسمين، وهو يسمى الطباق الحقيقي، لأن الطباق في اللفظ الكائن الظاهر في الشكل، فاليقظة تدل على القيام، والرقود يدل على النوم عموماً، والبلاغة في استخدام اللفظ وضده لحالة ثابتة مستقرة، فما استقرّ عليه الحال هو النوم.

ومن ذلك، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.[٧٠] وهذا يخرج على أنه طباق إيجاب، وهو من نوع الجمع بين الفعلين. وهو يسمى طباق حقيقي. فالطباق واضح في هذه الأفعال على التتالي: (تؤتي وتنزع)، و(وتعزّ وتذّل). والبلاغة في أن الآمر واحد أحد وهو الله سبحانه وتعالى، وجاءت هذه الأفعال متناسقة في الشكل والمضمون، حيث لا يوجد خلل أو لبس أو غموض، مع تناسق موسيقي له تأثيره في الوجدان الإنساني.

ومن ذلك، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾.[٧١] ونجد هذا طباق إيجاب، وهو من نوع الجمع بين الفعلين. وهو يسمى طباق حقيقي.

كما نجد في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾.[٧٢] وهذا طباق الايجاب، ويكون الجمع هنا بين حرف وحرفن وهو يسمى طباق حقيقي. ونجد الطباق بين المعنى الذي دلّ عليه الحرف في (الهاء)، والمعنى الذي دلّ عليه الحرف في (عليها)، فلفظ (الهاء) دلّ على الثواب، ولفظ (عليها) دلّ على المؤاخذة أو العقاب. وطباق بين المعنى الذي دلّ عليه فعل (كسب)، وهو الطاعة، وفعل الخير، والمعنى الذي دلّ عليه فعل (اكتسب)، وهو المعصية والذنب.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.[٧٣] والمقصود به هنا أنه مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال، بمن كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به، فيميّز بعضهم من بعض، ويفصل بين حلاهم، ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص.[٧٤] وهذا طباق مجازي، أي من كان ضالاً فهديناه، فالموت والإحياء متقابل معناهما المجازيان، وهما الضلال والهدى، وهذا على وجه المجاز.

ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾.[٧٥] يذهب الحموي إلى أنّ المطابقة التي يأتي بها

الناظم مجردة ليس تحتها أمر كبير ، ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل، اللهم إلا أن تترشح بنوع من أنواع البديع وتشاركه في البهجة والرونق، ففي العطف بقوله تعالى: (وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) دلالة على أنّ من قدر على الأفعال العظيمة قدر على أنْ يرزق بغير حساب من شاء من عباده، وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى. فانظر إلى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته.[٧٦]

ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.[٧٧] وهذا الطباق بين السلب والإيجاب، والذي لم يصرّح فيها بإظهار الضدّين، وإنما كان أحد اللفظين موجباً، والآخر سالباً، فالمطابقة في هذه الآية الكريمة حاصلة بين إثبات العلم ونفيه، أو بين العلم والجهل، فالذين لا يعلمون، إيحاء بالجهل، أي جهلهم عن إدراك الحقائق.

ومن هنا نجد فن الطباق فن كائن عند العرب، استخدم لديهم لتحسين الكلام، أي الاهتمام بالجانب الشكلي، ولذلك أطلق على هذا الفن فن البديع، ويدخل الطباق في جانب المحسنات البديعية. ولكن القرآن الكريم لا يحتاج إلى محسنات؛ لأنه من عند الله سبحانه وتعالى، ففن البديع يأتي فيه عفو الخاطر، دون أدنى تكلف، فالنص القرآني يتكامل فيه الشكل والمضمون، فلا يطغى الشكل على المضمون، ولا يطغى المضمون على الشكل. ولذا تأثيره يقع مباشرة على الإنسان، فيحرك وجدانه، وشعوره وإحساسه، ويدفعه إلى العمل والفلاح.

سادساً–المقابلة

من أنواع المعاني وأجناسها صحة المقابلات، وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة أو يشرط شروطاً ويُعدّد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه، وعدّده وفيما يخالف بأضداد ذلك.[٧٨]

وقال العسكري في كتابه (الصناعتين): مشيراً إلى فن المقابلة، ومعرّفاً بهذا الفن الفريد الذي ورد في القرآن في عدّة مواضع.

وذكر الرازي أن المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين بين ضدّيهما ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشرط ضدّيهما بضد ذلك الشرط.[٧٩] وقال الحموي رادًّا كلام من ذهب إلى أنّ الفنين لون واحد: (وهو غير صحيح فإنّ المقابلة أعمّ من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق. فبقولنا (وما يوافق) صارت المقابلة أعمّ من المطابقة، فإن التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة).[٨٠]

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.[٨١] وهذه تسمى مقابلة اثنين باثنين. ذكر الخطيب القزويني: (ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به مثال مقابلة اثنين باثنين، ومنه قوله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا)، حيث أتى بالضحك والقلة المتوافقين، ثم البكاء والكثرة المتماثلين، وقد قابل الأول من الطرف الثاني وهو البكاء بالأول من الطرف الأوّل وهو الضحك، والثاني وهو الكثرة من ذلك الطرف يقابل الثاني من الأوّل وهو القلة.[٨٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾.[٨٣] وذهب الزمخشري أن سباتًا تعني: موتاً، والمسبوت، الميت، من السبت وهو القطع؛ لأنه مقطوع عن الحركة. ولما جعل النوم موتاً، جعل اليقظة معاشاً، أي: حياة أي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم. وقيل السبات الراحة، و(لباسا) يستركم عن العيون إذا أردتم هرباً من عدوّ، أو بياتاً له، أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور.[٨٤] فالليل سكون وستر وراحة، والنهار يقظة وحركة وعمل، وقُدّم الظلام في الليل، على النور في النهار؛ لأن الظلام سابق في الزمن على النور أو النهار، سواء كان ظلاماً معنوياً أو مادياً. وجاء الفعل (جعلنا) لتأكيد قدرة الله سبحانه وتعالى، وجاءت الواو في أسلوب الوصل، لتفيد التتالي.

ومن ذلك، قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾.[٨٥] وهذه مقابلة ثلاثة بثلاثة. وهي مقابلة في غاية من الدقّة، والفصاحة والبيان، بالإضافة إلى ذلك التوازن بين العبارتين، والذي زاد العبارتين حسناً وبهاء. ثم جاءت بلاغة التقديم؛ حيث قدّم الطيّبات على الخبائث، وهو تقديم الشرف، فالطيبات أشرف من الخبائث، والحلال أشرف من الحرام، وفي كلمة (لهم) اطمئنان وزيادة، وفرحة وسرور، ومكسب عكس كلمة (عليهم)، وفيها خسران، وحزن، ودين متطاول. والتشديد بين الفعلين (يحلّ، ويحرّم)، يدل على العزم والمضاء في الأمر، وفيه زيادة في المعنى.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾.[٨٦] وهذه مقابلة أربعة بأربعة. فإن المراد باستغنى أنه زهد، زهد فيما عند الله كأنه مستغنٍ عنه فلم يتقِ أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتقِ... وهنا تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما، ثم إذا شرطت هنا شرطاً، شرطت هناك ضده، وذلك لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء الاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب.[٨٧]

ويرى حازم القرطاجني في مفهوم المقابلة تكون في الكلام بالتوفيق بين المعاني المتطابقة بعضها ببعض، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه.[٨٨]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.[٨٩] ويعني أنكم إذا علمتم أنّ كل شيء مقدّر مكتوب عند الله قلّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي؛ لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده، لأنه وطّن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أنّ بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال: لم يعظم فرحه عند نيله.[٩٠] وهنا جمع بين الحزن والفرح، والماضي والمستقبل في نسق جميل فاق طوق البشر، وكشف عن المعاني الخفيّة عن طريق هذه الدلالات البلاغية في فن المقابلة. فكلمة (تأسوا)، فيها دلالات على الحزن والألم والضياع، تنبؤ عن حالة نفسية غير مستقرّة. بعكس كلمة (تفرحوا) التي تحمل السكينة والإطمئنان والهدوء.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾.[٩١] ونلحظ في المقابلة استشعاراً بالفرح والسرور، وانشراح القلب لمن يلطف به الله، ويهده الله إلى الإسلام، فهو السعيد المختار المهتدي. ومن لم يلطف به يجعله في ضيق وحزن وأسى، واضطراب دائم، سريع الغضب، تضيق به نفسه، إذن الآية تشير إلى الحالات النفسيّة التي تلازم الإنسان عندما يفتح الله عليه بنعمة الإسلام، ويلطف به، وذلك النوع من البشر الني تحجّر قلبه، وجمد إحساسه، وتركته الهداية، واستبدّ به الشيطان، وأغمضت الدنيا في وجهه؛ لأعماله السيئة.

الخاتمة:

نخلص من هذا البحث إلى أن الدلالات البلاغية في القرآن الكريم كثيرة جداً، ولا يمكن فهم هذه الدلالات إلا بإتقان فنون البلاغة العربية؛ ومن ذلك فن البديع. كما أن هذه الدلالات البديعية التي تكمن وراء المعاني الثانية للإسلوب القرآني هي التي تكشف مفهوم الخطاب القرآني. وتحليل الدلالات يفيد أؤلئك الذين تخصصوا في البلاغة القرآنيّة، وتفسير القرآن الكريم، فهي تساعد طالب العلم والتخصص على فهم أساليب القرآن الكريم المختلفة. وأخيرًا نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

هوامش البحث:

[١] سورة الضحى، الآية٩و١٠.

[٢] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنك، **البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها**، ط١، (بيروت: دار القلم، والدار الشاميّة، عام١٩٩٦م)، ج٢، ص٤٩٥.

[٣]سورة الروم، الآية٥٥.

[٤] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، عام١٩٩٧م)، ج٣، ص٤٩٣.

[٥] انظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، ط٢، (القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٧٧م)، ص١١.

[٦]سورة النمل، الآية٢٢.

[٧] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشّاف**،ج٣، ص٣٦٤و٣٦٥.

[٨]سورة غافر، الآية٧٥.

[٩]سورة القيامة، الآية٢٢و٢٣.

[١٠] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشّاف**،ج٤، ص٦٦٣.

[١١]سورة الهُمزة، الآية١.

[١٢] إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، **المعجم الوسيط**، ط١، (تركيا: دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م)، ص٨٣٨ و٩٩٤.

[١٣] سورة القيامة، الآية٢٩و٣٠.

[١٤] انظر: الخطيب، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة**، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٠٤م)، ص٣٩٠.

[١٥] التُّجيبي، أبو يحي محمد بن صمادح، **مختصر من تفسير الإمام الطبري**، تحقيق: محمد حسن أبو العزم وجوده عبد الرحمن هلال، ط١، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م)، ج٢، ص٤٢٤.

[١٦] مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها**، ط١، (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، عام ٢٠٠٠م.)، ص٦١٤.

[١٧] الرازي، فخرالدين، **نهاية الايجاز في دراية الإعجاز**، ط١، (القاهرة: مطبعة الآداب، ١٣٦٧هـ)، ص١١٣.

[١٨] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، ط١، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٧م)، ص ٢٠٠. والخطيب، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع: مختصر تلخيص المفتاح**، ط١، (بغداد: منشورات مكتبة النهضة، د.ت)، ص٣٤٣.

[١٩] سورة الشورى، الآية١١.

[٢٠] سورة البقرة، الآية١٦.

[٢١] سورة الرحمن، الآية٦.

[٢٢]سورة الأنعام، الآية١٠٣.

[٢٣] انظر: الخطيب، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة**، ص ٣٥٤. وطبانة، بدوي، **معجم البلاغة العربيّة**، (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢م)، ج١، ص٢١٨.

[٢٤] انظر: الخطيب، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع: مختصر تلخيص المفتاح**، ص١٩٦ و٢٢٦.

[٢٥]سورة الأنعام، الآية١٠٣.

[٢٦] السابق نفسه، ص١٩٧.

[27] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشّاف**، ج٢، ص٥٢.

[28] سورة المائدة، الآية١١٨.

[29] انظر: الخطيب، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**: **المعاني والبيان والبديع**: **مختصر تلخيص المفتاح**، ص١٩٧.

[30] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشّاف**، ج١، ص٧٢٨.

[31] سورة الرحمن، الآية٥و٦.

[32] سورة التوبة، الآية٧٠.

[33] السابق نفسه، ج٢، ص٢٧٥.

[34] سورة المؤمنون، الآية١٢إلى١٤.

[35] السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، (القاهرة: طبعة حجازي، ١٣٦٠هـ)، ج٢، ص١٧٠.

[36] سورة يوسف، الآية٨٥.

[37] طبانة، بدوي، **البيان العربي**، ط٥، (بيروت: دار العودة – دار الثقافة، ١٩٧٢م)، ص٥٢ .

[38] سورة هود، الآية١١٣.

[39] انظر: ابن أبي الأصبع، **بديع القرآن**، تحقيق: حفني شرف، (القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٥٧م)، ص٧٨.

[40] سورة نوح، الآية١٣ و١٤.

[41] سورة الغاشية، الآية١٣و١٤.

[42] سورة الواقعة، الآية٢٨–٣٠.

[43] سورة النجم، الآية١و٢.

[44] سورة الحاقة، الآية٣٠و٣١.

[45] سورة العصر، الآية١–٣. انظر: الخطيب، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**: **المعاني والبيان والبديع**، ص٢٢٢.

[46] مبارك، زكي، **النثر الفني القرآن الرابع**، ط١، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، د.ت.)، ج١، ص٦٥.

[47] سورة الصافات، الآية١١٧و١١٨.

[48] سورة الانفطار، الآية١٣و١٤.

[49] الزيات، أحمد حسن، **دفاع عن البلاغة**، (القاهرة: مطبعة الرسالة، د.ت.)، ص١١٤.

[50] سورة النجم، الآية١–٢٢.

[51] قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، ط١، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م)، ص٨٧–٨٨.

[52] سورة الرحمن، الآية١–١٦.

[53] الجندي، علي، **من صور البديع**، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ج٢، ص١٨٦.

[54] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف**، ج٤، ص٤٤٢–٤٤٣.

[55] سورة الغاشية، الآية٢٥و٢٦.

[56] سورة الغاشية، الآية١٣و١٤.

[57] سورة نوح، الآية١٣و١٤.

[58] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، **البلاغة العربية**: **أسسها وعلومها وفنونها**، ج٢، ص٥٠٤–٥٠٧.

[59] انظر: مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ص٤٣٣–٤٣٤.

[60] انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، **البلاغة العربية**: **أسسها وعلومها وفنونها**، ج٢، ص٣٧٣–٣٧٤.

[61] سورة الرعد، الآية٢.

[62] انظر: لاشين، عبد الفتاح، **بلاغة القرآن في أثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغيّة**، ط١، (القاهرة: الناشر دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ١٩٧٨م)، ص٤٠٦—٤٠٩.

[63] سورة يوسف، الآية٩٤—٩٥.

[64] سورة يوسف، الآية٨.

[65] انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، **البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها**، ج٢، ص٣٧٤-٣٧٥.

[66] سورة الرحمن، الآية٥و٦.

[67] انظر: مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ص٢١٩.

[68] انظر: الحموي، أبو بكر علي بن حجة، ط١، (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٧٣هـ.) ص٦٩؛ وما ذكره العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **كتاب الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٢م)، ص٣٩٩؛ والسيوطي، جلال الدين، **عقود الجمان في المعاني والبيان**، ط٢، (القاهرة، مصطفى الباب الحلبي ١٩٥٥م)، ج٢، ص٧٩؛ والعلوي، يحي بن حمزة، **الطراز**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م)،ج٢، ص٣٧٧؛ والمدني، على صدر الدين بن معصوم، **أنوار الربيع في أنواع الربيع**، تحقيق: شاكر هادي شكر، (العراق: النجف الأشرف، ١٩٥٣م)، ج٢، ص٣١.

[69] سورة الكهف، الآية١٨.

[70] سورة آل عمران، الآية٢٦.

[71] سورة النجم، الآية٤٣و٤٤.

[72] سورة البقرة، الآية٢٨٦.

[73] سورة الأنعام، الآية١٢٢.

[74] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف**، ج٢، ص٥٩.

[75] سورة آل عمران، الآية٢٧.

[76] انظر: الحموي، أبو بكر علي بن حجة، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ط١، (القاهرة: دون طبعة، ١٣٠٤هـ)، ص٧١.

[77] سورة الزمر، الآية٩.

[78] انظر: البغدادي، قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، تحقيق:كمال مصطفى، ط١، (القاهرة: دون طبعة، ١٩٦٣م)، ص١٥٢.

[79] انظر: الرازي، فخرالدين، **نهاية الايجاز في دراية الإعجاز**، ص١١١.

[80] الحموي، أبو بكر علي بن حجة، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ص٤٧.

[81] سورة التوبة، الآية٨٢.

[82] انظر: الخطيب، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع: مختصر تلخيص المفتاح**، ص١٩٥.

[83] سورة النبأ، الآية٩-١١.

[84] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشّاف**، ج٤، ص٦٨٥-٦٨٦.

[85] سورة الأعراف، الآية١٥٧.

[86] سورة الليل، الآية٥-١٠.

[87] انظر: الخطيب، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع: مختصر تلخيص المفتاح**، ص١٩٦.

[88] انظر: القرطاجني، أبو الحسن حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط١، (تونس: دون طبعة، ١٩٦٦م)، ص٥٢.

[٨٩] سورة الحديد، الآية٢٣.

[٩٠] انظر: السابق نفسه، ج٤، ص٤٧٧.

[٩١] سورة الأنعام، الآية١٢٥.

References **المراجع:**

Al-ʿaskarī, ʾAbū Hilāl al-Ḥasan Bin ʿabdu Allāh, *Kitāb al-Ṣināʿatayn*, ed. ʿalī Muḥammad al-Bījāwī wa Muḥammad ʾAbū al-Faḍl ʾIbrāhīm, ١st edition, (Cairo, ١٩٥٢).

Al-Baghdādī, Qudāmah Bin Jaʿfar, *Naqd al-Shiʿr*, ed. Kamāl Muṣṭafā, ١st edition, (Cairo, ١٩٦٣).

Al-Ḥamawī, ʾAbū Bakr ʿalī Bin Ḥujjah, ١st edition, (Cairo: Maṭbaʿah Būlāq, ١٨٥٢).

Al-Ḥamawī, ʾAbū Bakr ʿalī Bin Ḥujjah, *Khazānah al-ʾAdab wa ghāl'āyh al-ʾArib*, ١st edition, (Cairo, ١٨٨٣).

Al-Jundī, ʾAḥmad, *min Ṣuwar al-Badīʿ*, ١st edition, (Cairo: Dār al-Fikr al-ʿarabiyy, no date).

Al-Jurjānī, ʾAbū Bakr ʿabd al-Qāhir Bin ʿabd al-Raḥmān, *ʾasrār al-Balāghah*, ed. Muḥammad ʿabd al-ʿazīz al-Najjār, ٢nd edition, (Cairo: Maktabah wa Maṭbaʿah Muḥammad ʿalī Ṣabīḥ wa ʾawlāduh, ١٩٧٧).

Al-Khaṭīb, al-ʾimām Jalāl al-Dīn Muḥammad Bin ʿabd al-Raḥmān al-Qazwīnī, *al-Talkhīṣ fī ʿulūm al-Balāghah*, ed. ʿabd al-Raḥmān al-Barqūqī, ١st edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿarabiyy, ١٩٠٤).

Al-Khaṭīb, al-ʾimāmJalāl al-Dīn Muḥammad Bin ʿabd al-Raḥmān al-Qazwīnī, *al-ʾīḍāḥ fī ʿulūm al-Balāghah: al-Maʿānī wa al-Bayān wa al-Badīʿ: Mukhtaṣar Talkhīṣ al-Miftāḥ*, ١st edition, (Baghdad: Manshūrāt Maktabah al-Nahḍah, no date).

Al-Madanī, ʿalā Ṣadr al-Dīn Bin Maʿṣūm, *ʾanwār al-Rabīʿ fī ʾanwāʿ al-Rabīʿ*, ed. Shākir Hādī Shukr, (Iraq: al-Najf al-ʾashraf, ١٩٥٣).

Al-Maydānī, ʿabd al-Raḥmān Ḥasan Ḥubnak, *al-Balāghah al-ʿarabiyyah: ʾususuhā wa ʿulūmuhā wa Funūnuhā*, ١st edition, (Beirut: Dār al-Qalam, wa al-Dār al-Shāmmiyyah, ١٩٩٦).

Al-Qarṭājanī, ʾaAbū al-Ḥasan Ḥāzim, *Minhāj al-Bulaghāʾ wa Sirāj al-ʾudabāʾ,* ed. Muḥammad al-Ḥabīb Bin al-Khawjah, ١st edition, (Tunisia, ١٩٦٦).

Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn, *Nihālʾāyh al-ījāz fī Drālʾāyh al-Iʿjāz*, ١st edition, (Cairo, ١٨٩٦).

Al-Sabkī, Bahāʾ al-Dīn, *ʿarūs al-ʾafrāḥ fī Sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ*, ١st edition, (Cairo, ١٩٣٧).

Al-Sakākī, ʾAbū Yaʿqūb Yūsuf Bin ʾabī Bakr, *Miftāḥ al-ʿulūm,* ١st edition, (Cairo, ١٩٣٧).

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, *al-ʾitqān fī ʿulūm al-Qurʾān*, (Cairo: Ṭabʿah Ḥijāzī, ١٩٣٩).

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, *ʿuqūd al-Jammān fī al-Maʿānī wa al-Bayān,* ١st edition, (Cairo, ١٩٥٥).

Al-Tujībī, ʾabū Yaḥya Muḥammad Bin Ṣamādiḥ, *Mukhtaṣar min Tafsīr al-ʾimām al-Ṭabarī*, ed. Muḥammad Ḥassn ʾabū al-ʿazm wa Jawdah ʿabd al-Raḥmān Hilāl, ١st edition, (Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah liltaʾlīf wa al-Nashr, ١٩٧١).

Al-ʿuluwwī, Yaḥya Bin Hamzah, *al-Ṭirāz*, (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah, ١٩٨٠).

Al-Zamkhsharī, ʾabū al-Qāsim Maḥmūd Bin ʿumar, *al-Kashshāf ʿan Ḥaqāʾiq al-Tanzīl wa ʿuyūn al-ʾaqāwīl fī Wujūh al-Taʾwīl*, ١st edition, (Beirut: Dār ʾiḥyāʾ al-Turāth al-ʿarabiyy, ١٩٩٧).

Al-Zayyāt, Aḥmad Ḥasan, *Difāʿ ʿan al-Balāghah*, (Cairo: Maṭbaʿah al-Risālah, no date).

Ibn ʾabī al-ʾiṣbaʿ, *Badīʿ al-Qurʾān*, ed. Ḥafnī Sharaf, (Cairo: Maṭbaʿah al-Risālah, ١٩٥٧).

Ibrāhīm Muṣṭafā, wa ʾAaḥmad Ḥasan al-Zayyāt, wa Ḥāmid ʿabd al-Qādir, wa Muḥammad ʿalī al-Najjār, *al-Muʿjm al-Wasīṭ*, ١st edition, (Istanbul: Dār al-Daʿwah, ١٩٨٩).

Lāshīn, ʿabd al-Fattāḥ, *Balāghah al-Qurʾān fī ʾāthār al-Qāḍī ʿabd al-Jabbār wa ʾatharuh fī al-Dirāsāt al-Balāghiyyah*, ١st edition, (Cairo: al-Nāshir Dār al-Fikr al-ʿarabiyy, Maṭbaʿah Dār al-Qurʾān, ١٩٧٨).

Maṭlūb, ʾaḥmad, *Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-Balāghiyyah wa Taṭawwuruhā*, ١st edition, (Lubnan: Maktabah Lubnān Nāshirūn, ٢٠٠٠).

Mubārak, Zakī, *al-Nathr al-Fannī al-Qurʾān al-Rābiʿ*, ١st edition, (Cairo: Maṭbaʿah Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, no date).

Quṭb, Sayyid, *al-Taṣawwūr al-Fannī fī al-Qurʾān*, ١st edition, (Cairo: Dār al-Maʿārif bi Miṣr, ١٩٧٥).

Ṭabbānah, Badawī, *al-Bayān al-ʿarabiyy*, ٥th edition, (Beirut: Dār al-ʿaAwdah – Dār al-Thaqāfah, ١٩٧٢).

Ṭabbānah, Badawī, *Muʿjam al-Balāghah al-ʿarabiyyah*, (Riyad: Dār al-ʿulūm li al-Ṭibāʿah wa al-Nashr, ١٩٨٢).